البساطة

هام فتى بمحبة فتاة وأصبح لا يفارق منزلها فقالت أُختهُ بمجلس: كنت أود أن اعلم ما هى لذة أخى فى مسامرتهِ للبنات، ولا يتخذ لهُ سميرًا من الفتيان فأنا عندى مسامرة فتى واحد أفضل من مسامرة ألف فتاة.

رواية

(ڤانتن أو الحرب النسائى)

لحضرة الكاتبة الفاضلة الآنسة استير ازهرى فى بيروت

تابع ما قبله

قال هذا وصعد إليهِ فرأى على المائدة صحفتين فظن أن أحدهما عينت لهُ ولكن عندما رآهُ الفيكونت انتصب أمامهُ منذهلاً بحيث أوضح بذلك إلى البارون بأن الصفحة الثانية لم تكن لهُ وأيد ذلك قولهُ هل يتكرم سيدى البارون بأن يخبرنى الأمر الذى جعلنى مديونًا لهُ بهذه الزيارة.

– إنهُ أمرٌ طبيعى جدًا فإنى أجوع من زواله وظننتك مثلى وربما أن كلاً منا منفرد قصدت أن أتناول وإياك العشاء.

فنظر إليهِ الشاب بحيرة لم تخف عن البارون الذى قال لهُ ضاحكًا – اقسم بشرفى أنك منزعر منى. أفارس مالطى أنت. أو مرشح الكهنوت. بل ربما عائلتك الكريمة علمتك من المهد الخوف من عائلة دى كانول. هلمَّ أيها الشاب ولا تخشى ضيرًا من صرف ساعة معى على العشاء.

– ولكننى يا مولاى انتظر أحد رفقائى

– أحقًا ما تقول

– نعم

– وعليه فكان الأحرى بك أن تدعنى أواصل طريقى وأقبل ما قدر علىَّ كى لا أرى منك هذه الخشونة الَّتى تفوق أضعاف ما أحسنت إلىَّ به.

فصبغ الحياءُ وجنتى الشاب بلون القرمز ثم اقترب من كانول وقال مولاى إنى متكدر جداً من جراءِ الخشونة الَّتى تجبرنى الظروف على معاملتك بها، فلولا أمور عائليَّة تستدعينى للبحث بها مع رفيقي لحسبت بقائك عندى من أعظم ما يوجب سرورى وابتهاجى ومع ذلك...

– بل أرجوك أن تتم حديثك لأنى آليت على نفسى ألاَّ اتكدر لأى أمر سمعتهُ من فيك.

– ومع ذلك فما تعارفنا إلاَّ اتفاقى

– ولكن أخالك تجهل أن أرسخ صداقة إنما هى ما أوجدتها الصدفة عرضاً.

– لسوءِ طالعى علىَّ أن أواصل سفرى بعد ساعتين وطريقى على الأرجح تغاير طريقك، فبأسف كلى أرفض الصداقة الَّتى تكرمت بتقديمها لى.

– إن إحسانك لى مع ما أنت عليهِ من حداثة السن جعلنى أن أثق بكرم أخلاقك وأعرض عليك صداقتى لأن ذلك لم أكن لانتظرهُ من رجل غريب وبما أن عملك الحالى ينافى تماماً ما أجريتهُ من برهة قصيرة، فعلى غير إرادة منى اذهب واتعشى (ومع أنهُ قال انهُ ذاهب لم يبدِ حركة) وأخذ الفيكونت حالاَ القنديل وقام وأمسك بيده وقال لهُ ثق يا مولاى إنى أحسب نفسى سعيداً جداً لتمكنى من تقديم خدمة لكم. فقبض كانول على تلك اليد اللطيف الناعمة الَّتى سحبت حالاً بحيث لم تدع فرصة لاجابة العمل بمثلهِ ولما لم يعد لكانول ما يقول ذهب. وتبعهُ الخادم حاملاً القنديل إلى أن أدخلهُ إلى غرفتهِ ورجع إلى سيده الذى عندما رآه قال– حسن وماذا يفعل الآن.

– لقد عول كما ظهر لى على مناولة الطعام وحده.

– عسى أن لا يعود يزعجنى ثانية– أظن هكذا– أعد الخيل لكى نكون مستعدين للذهاب حال وصول ريثو– ولكن أو ليس ذلك صوت ريثو– نعم وذلك صوت كانول أيضًا.

–وهل يتشاجران هما– كلا بل يتعارفان

وبعدئذ سمعا كانول ينادى. علىَّ بغطائى مائدة لأن ريثو مزمع أن يتناول العشاء معى. العفو مولاى لا يمكن ذلك.

– وهل أنت ترغب مناولة العشاءَ وحدك كما يفعل ذاك الفيكونت

وأى فيكونت تعنى– ذاك الذى فى الطابق العلوى– الفيكونت دى كامب– وهل تعرفهُ– كيف لا وهو قد أنقذنى من القتل– وكيف كان ذلك– أن أكلت معى أخبرك ما ترغب– لا يمكننى لأنهُ ينتظرنى للعشاءِ– أجل فهو فى انتظار شخص ما– نعم وبما أنى متاخر اسمح لى بالذهاب إليهِ– كلا لا أسمح لك بذلك فإما أن تأكل معى أو آكل معكما إلىَّ ياموسيوبسيكارس مر لى بغطائين.

أما ريثو ففرّ هاربًا وصعد السلم بأسرع من طرفة عين وحالما بلغ أعلاها تناولتهُ يد لطيفة وأدخلتهُ الغرفة بعد أن أغلقت الباب خلفهُ.

فقال كانول، وهو يحرق الأرم غيظًا، ليكن هذا المكان ملعونًا من اللهُ والبشر لا البعض يرغبون فى قتلى وإذاقتى كأس المنون كانى مرتكب وزرًا لا يغتفر والبعض يهربون منى كأنى مصاب بالطاعون. وما بقى علىَّ إلاَّ أن أطرق كأس الخمرة وأرتشف كؤوسها علنى أسلى بها بعض ما حل بى من العناءِ فى هذه الليلة واصبح ثملاً كأحد اللوردات أو أضرب كستورن على أم رأسهِ... ولكنى ما بالى أراهما قد غلقا الباب كأنهما يتآمران فيا ما أحمقنى لأنهما لا يفعلان غير ذلك، ومن الذى يوضح لى تلك

الغوامض وضد من يا ترى. ولمن. لا علم. ومع ذلك فلا ناقة لى بمؤمرتهما ولا جمل فليفعلا ما شاؤوا ثم التفت إلى خادمه وأمره أن يأتيه بالعشاء. ولندعه الآن يتناول عشاءَهُ لنرى ماذا يجرى فى بيت نانن.

كانت نانن على غاية من اللطف والظرف رشيقة القد هيفاءُ القامة طلقة المحيَّا ذات طرفين كحيلين سوداوين يبعثان نوراً جذاباً يخرق سهامها القلوب قبل الصدور مِنْ حيث لا تدرى، وهى تبلغ الخامسة والعشرين من العمر بمكان عظيم من الفطانة رحبة الصدر واسعة الفكر لا تعبأُ لعظائم الأمور.

حتى إن أصعب المسائل بعد أن تزنها بميزان عقلها باحثة عنها لا تراها إلاَّ دون الطفيف لا يقوى أحد على الوصول إلى مكنونات ضميرها أو معرفة الحد الَّتى تطمح إليه ابصارها لا تكل ولا تمل عن المثارة على عمل كل ما تراه يمكنها من الوصول إلى غايتها الَّتى ترجع فى غالب الأحيان إلى الطمع وحب الذات متخذة جمالها كنقاب يستر ما يكنهُ قلبها، وهى ابنة محام من مدينة تدعى اجين اختارها الدوق دون سواها لتفردها بالصفات السابق ذكرها ولأنها عنوان الحسن والجمال.

(البقية تاتى)